نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩١٤ — اتق شر من أحسنت إليه

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني:

(اتق شر من أحسنت إليه) وفي لفظ من تحسن إليه. قال في الأصل[1]: لا أعرفه، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف، قال: وليس على إطلاقه بل هو محمول على اللئام دون الكرام، ويشهد له ما في المجالسة للدينوري عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لطف. وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما وجدت لئيما قط إلا قليل المروءة. وفي التنزيل: [وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله].

وقال أبو عمرو بن العلاء يخاطب بعض أصحابه: كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا رحمته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت لك ... وعن البيهقي في الشعب عن محمد بن حاتم المظفري قال: اتق شر من يصحبك لنائلة، فإنه إذا انقطعت عنه لا يعذر، ولم يبال بما قال وقيل فيه.

٩١٥ — فلك الديار فسدت غير مسود!

قال ابن خلكان: كان أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الملقب فخر الإسلام[2] — فقيه وقته، ... وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية، وصنف تصانيف حسنة ... وتولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد سنة (٥٠٤) إلى حين وفاته، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأبو نصر ابن الصباغ صاحب (الشامل) وأبو سعيد المتولي صاحب (تتمة الإبانة) وأبو حامد الغزالي، فلما انقرضوا تولاها هو. وحكي لي بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس وضع منديله على عينيه، وبكى كثيراً وهو على السدة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها، وأنشد:

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردي بالسؤدد[1]

وجعل يردد هذا البيت، وهو يبكي، وهذا إنصاف منه، واعتراف لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه.

٩١٦ — فوزر بملوكهم أبرا عليه

تاريخ الطبري: لما قسم هارون الرشيد الأرض بين أولاده الثلاثة (محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن بعد مبايعتهم) قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم: بل قد أتى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية، وقالت الشعراء في ذلك فقال بعضهم.

أقول لغمة في النفس مني ... ودمع العين يطرد اطرادا
خذي للهول عدته بحزم ... ستلقى ما سيمنعك الرقادا[2]
فإنك إن بقيت رأيت أمراً ... يطيل لك الكآبة والسهادا
رأى الملك المهذب شر رأي ... بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقبه بعلم ... لبيض من مفارقه السودا
أراد به ليقطع عن بنيه ... خلافهم ويبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل الفتهم بدادا[3]
وألقح بينهم حرباً عواناً ... وسلّس لاجتنابهم القيادا
فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدى لها الكرب الشدادا

---

(١) يعني كتاب (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) لشمس الدين السخاوي، والكشف هو تلخيص المقاصد قد ضم إليه فوائد من كتب أخرى. نشرت هذا الكتاب النفيس مكتبة القدسي في القاهرة.

(٢) الفعل (لقب) من الوفيات وفي كثير من كتب السير مجيء غير متعد بالباء. في الأساس: هو ملقب بكذا أو متلقب، ولقد لقب به وتلقب

(١) للحماسي، ورواية حبيب: ومن العناء ...

(٢) (ستلقى): ستلقين، على الوزن نوتها.

(٣) نعرف (بداد) البتة: تفرق القدم بداد، جاءت الخيل بداد أي متبددة متفرقة. وليس في كتب اللغة جهم اللغة ...

وألبسها بلاء غير فان ... وألزمها التضعضع والفسادا
ستجرى من دمائهم بحور ... زواخر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبداً عليـــه ... أغياً كان ذلك أم رشادا

٩١٧ — مهما

الكشاف : (مهما) هي ما المضمنة معنى الجزاء ، ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك : متى ما يخرج أخرج ، أيما تكونوا يدرككم الموت ، فإما تذهبن بك ، إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين ، وهو المذهب السديد البصري . فإن قلت : ما محل مهما ؟ قلت : الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به ، أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ، و (من آية) تبيين لهما ، والضميران في (به وبها) يرجعان إلى مهما ؛ إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى ، لأنه في معنى الآية ، ونحوه قول زهير :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية ، فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ، ويقول : مهما جئتني أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ، ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت ، فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر ، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه[1] .

٩١٨ — ... ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ؟

رسالة الغفران للمعري : قد تجد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فإذا رجع إلى الديانة ألفى كأنه غير مقتاد ، وإنما يتبع ما يعتاد ... ويلقن الطفل الناشيء ما سمعه من الأكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر . والذين يسكنون في الصوامع ، والمتعبدون في الجوامع ، يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبر ، لا يميزون الصدق من الكذب لدى المعبر . فلو أن بعضهم ألفى الأسرة من المجوس لخرج مجوسياً ، ومن الصابئة لأصبح لهم قريباً سياً[2] . وإذا المجتهد نكب عن التقليد ، فما يظفر بغير التبليد . وإذا المعقول[3] جعل هادياً ، تمع به صادياً ، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ، ويصقل فهمه أبلغ صقل ؟ هيهات عدم ذلك في من تطلع عليه الشمس ، ومن ضمنه من الرمم رمس ، إلا أن يشذ رجل في الأمم ، يُخص من فضل بعمم[4] ...

٩١٩ — ... فأبى وحمى أنفا وقاتل حتى قتل

أنساب الأشراف[4] للبلاذري : قال عبد الملك يوماً لجلسائه : من أشد الناس ؟ قالوا : أمير المؤمنين . قال : اسلكوا غير هذه الطريق . قالوا : عُمير بن الحباب قال : قبح الله عميراً ، اص ، ثوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه . قالوا : فشبيب . قال إن للحرورية طريقاً . قالوا : فمن ؟ قال : مصعب ، كانت عنده عقيلتا قريش : سكينة بنت الحسين[5] ، وعائشة بنت طلحة ، ثم هو أكثر الناس مالا ، جعلت له الأمان ، وضمنت أن أوليه العراق ، وعلم أني سأفي له لصداقة كانت بيني وبينه ، فأبى ، وحمى أنفاً وقاتل حتى قُتل . فقال رجل : كان يشرب الشراب ، قال : ذاك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ طلبها فلو ظن أن الماء ينقص من مروءته ما ذاقه .

---

(١) في المغني : الثاني — من معاني مهما — الزمان والشرط فتكون ظرفا لفعل الشرط ، ذكره ابن مالك وزعم أن النحويين أهملوه وأنشد لحاتم :

وإنك مهما تعط بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وأيانا أخرى ، ولا دليل في ذلك لجواز كونها للمصدر أي إعطاء كثيرا أو قليلا ، وهذه المقالة سبق إليها ابن مالك غيره وشدد الزمخشري الإنكار على من قال بها .

(١) السي : المثل ، وهما سيان مثلان .

(٢) اللسان : يقال ماله معقول أي عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمعسور .

(٣) اللسان : العمم عظم الخلق في الناس وغيرهم ، وأمر عمم : تاممام

(٤) في (إرشاد الأريب) : « كتاب جل نسب الاشراف وهو كتابه المعروف المشهور » قلت يعني البلاذري بالأشراف رجال مضر المشهورين ، وتلت كتابه في أخبار بني أمية ، ومن أسماء هذا الكتاب : كتاب الأنساب والأخبار ، تاريخ البلاذري .

(٥) ابن خلكان : كانت سيدة نساء عصرها ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا ، والطرة الكينة منسوبة إليها .